مقدمة سلسلة التراث التربوي الإسلامي

هذه مقدمة لسلسلة كتب التراث التربوي الإسلامي الثلاثة:

١- التُّراثُ التَّرْبَوِيُّ الإسْلَامِيّ: حالةُ البحث فيه، ولمحاتٌ من تطوُّره، وقطوفٌ من نُصوصِه ومَدارِسِه.

٢- نصوص مختارة من التراث التربوي الإسلامي.

٣- مشروعات بحثية في التراث التربوي الإسلامي.

وجدنا من المناسب أن نبيِّن علاقة هذه الكتب ببعضها بعضاً، وموقع كل منها في السلسلة، وسوف تظهر هذه المقدمة في كل كتاب من كتب السلسلة للتأكيد على عدد من الأمور. وقد جاء هذا البيان في سبع نقاط على الوجه الآتي:

١- هذه السلسلة موجهة أساساً لأساتذة الجامعات الذين يدرّسون مادة في التراث التربوي الإسلامي أو التربية في الإسلام، أو الفكر التربوي الإسلامي، أو تاريخ التعليم في الإسلام، أو أي جزئية من جزئيات هذه العناوين، مثل مؤسسات التعليم الإسلامي، أو الأوقاف التعليمية في الحضارة العربية الإسلامية، أو الإجازات التعليمية في الحضارة العربية الإسلامية، أو مناهج التعليم الإسلامي، أو فلسفة التعليم الإسلامي، وأمثال هذه الموضوعات. وهي موجهة لطلبة الدراسات الجامعية العليا، الذي يدرسون مثل هذه الموضوعات، أو يجعلون أطروحاتهم في مثلها. وهي كذلك للعلماء والباحثين المهتمين بهذه الموضوعات بصورة مباشرة أو المهتمين بربطها بقضايا الفكر التربوي الإسلامي المعاصر.

٢- إن تدريس أو دراسة أيِّ مادة جامعية في مثل هذه الموضوعات، لا بد أن يكون ضمن الإطار المرجعي للموضوع، وهو فيما نجتهد في فهمه إطار مرجعي يستند إلى منهجية التكامل المعرفي في الرؤية الحضارية الإسلامية، بمعنى التكامل

بين مصادر المعرفة ووسائلها، للجمع بين أركان أربعة، هي: الركن الأول، هو ما ورد عن الموضوع في القرآن الكريم من آيات مباشرة بنصها أو دلالتها، والركن الثاني، هو ما ورد عن الموضوع في السنة النبوية الشريفة من نصوص ترشد إلى مقاصد النصوص القرآنية وحالات تنزيلها على الواقع في عصر الرسالة، والركن الثالث، هو ما ورد من اجتهادات علماء المسلمين حول الموضوع في العصور اللاحقة، سواءٌ أكانت هذه الاجتهادات نصوصاً معيارية لما يجب أن تكون عليه الأمور أم نصوصاً وصفية لما كانت عليه الممارسات العملية، أما الركن الرابع؛ فهو الحالة المعرفية الراهنة للموضوع وما قادت إليه الخبرة البشرية المعاصرة من نظريات وممارسات. ومن هنا لزم أن يقع التراث التربوي الإسلامي في موقعه المناسب ضمن هذا الإطار المرجعي، وتُدرس الموضوعات على هذا الأساس.

٣- مصادر التراث التربوي الإسلامي، والكتب والبحوث والدراسات التي أُلِّفت حوله باللغة العربية وباللغات الأخرى كثيرة جداً، إلى الحدِّ الذي سيجد الباحث المتخصص في موضوع التراث التربوي الإسلامي صعوبةً بالغة في الإحاطة بها، فضلاً عمن يودّ أن يلمّ إلمامة عامة بتدريس أو دراسة مادة جامعية، أو الاطلاع على موضوع محدد من موضوعات التراث. ويظهر ذلك بصورة واضحة من النظر في كثير من الكتب والدراسات المنشورة من إعداد باحث أو عدد قليل من الباحثين، وكما يظهر كذلك في الصورة التي ظهرت عليها بعض الأعمال الموسوعية التي أشرفت على إنجازها مؤسسات كبيرة. فعدم الإحاطة بهذه الدراسات كلها أمر واضح. وليس من أهداف مشروعنا هذا تحقيق هذه الإحاطة، فكما كان تحقيق ذلك أمراً متعذراً عند غيرنا فهو كذلك عندنا. لذلك فإنَّ الهدف الأساسي في هذه السلسلة هو تقريب التراث التربوي الإسلامي في مجمله، وتيسير بناء رؤية إجمالية لإدراك سعة ميدانه، وتعدد موضوعاته، وتنوع مصادره ومناهجه، عن طريق النظر إليه من خارجه (فيما كتب عنه) ومن داخله (في قراءة نصوصه وملاحظة المتشابه والمختلف فيها)، من ثم تقدير أهميته وفائدته، وتوظيفه في بناء الفكر التربوي الإسلامي المعاصر.

٤- هذه الكتب الثلاثة، هي سلسلة تجتمع حلقاتها إلى بعضها بعضاً في تتابع أفقي، ذلك أن الكتاب الأول هو الأساس، وقد ورد فيه فصل على نصوص قصيرة

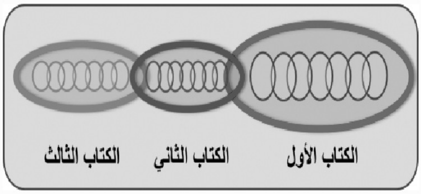

مختارة من عدد من مصادر التراث. لكن الكتاب الثاني "نصوص مختارة من التراث التربوي الإسلامي" يتضمن مختارات أكثر تفصيلاً وتعبيراً عن النصوص الأصلية وأكثر تنوعاً في مدارس التراث واتجاهاته، لمن أراد أن يتأمل السَّعة والتعدد والتنوع في مادة هذه النصوص. وفي الكتاب الأول كذلك فصول فيها قدر من التحليل لمسائل محددة، مثل مدارس التراث، وملامح التطور في التراث، وبعض الرؤى التحليلية في التراث. وكلّ مسألة من المسائل الكثيرة التي تضمنتها هذه الفصول أشبه بمقالة مطولة نسبياً (٥-١٠) صفحات، وتصلح أن تكون موضوعات لبحوث كاملة يمتد كل منها إلى عشرات الصفحات للبحوث المنشورة في الدوريات العلمية المتخصصة، أو مئات الصفحات، للأطروحات الجامعية والكتب المنهجية والمرجعية. وهنا يأتي الهدف من الكتاب الثالث، فقد تناولنا فيه سبعة موضوعات كان مصدر بياناتها هو النصوص الواردة في الكتاب الثاني أو أمثال هذه النصوص في المصادر الأخرى، وجاء كل موضوع منها في صورة بحث كامل مما ينشر عادة في الدرويات العلمية. ويجوز أن ينظر إلى الكتاب الأول بوصفه أصلاً يتفرّع عنه الكتابان الآخران

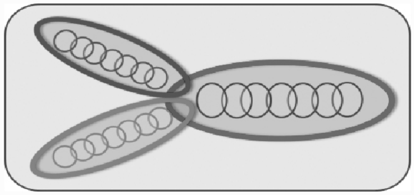

٥- ومع أنَّ ما ورد في الفقرة السابقة حول كتب السلسلة المتتابعة الحلقات أو أصل واحد يتفرع عنها فرعان، يحمل قدراً من الصحة، فإنَّ من الممكن أن ننظر إلى حلقات هذه السلسلة بصورة تتكامل مع بعضها ويتصل كل منها بالآخر. فمادة

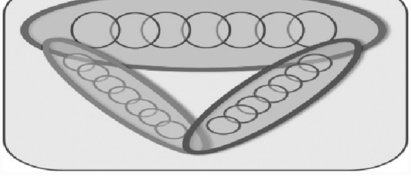

openkan.com

الكتاب الأول يمكن أن تكون مادة أساسية ينطلق القارئ منها إلى حيث يلزمه من الكتاب الثاني أو الكتاب الثالث أو من الكتابين الاثنين معاً، اللذين يعدَّان في هذه الحالة كتابين مرجعيين، وفي الوقت نفسه لا تكتمل الصورة التي يقدمها أي من الكتابين الثاني والثالث دون أن نجد ملامح هذه الصورة في الكتاب الأول. مما يستدعي من الباحث الجاد أن يجعل الكتب الثلاثة موضوعاً واحداً تتكامل عناصره في حلقاته الثلاث.

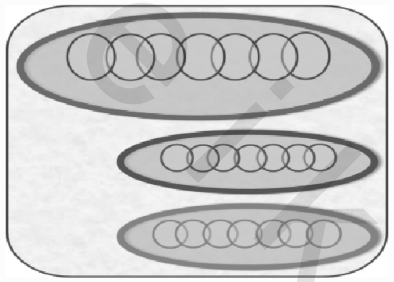

٦- مع الأخذ بالحسبان ما ورد في الفقرتين السابقتين، فإنَّ كل كتاب من الكتب الثلاثة قد صمم ليكون كتاباً قائماً بذاته. ولا سيما الكتاب الأول منها، الذي نقترح أن يكون كتاباً منهجياً يغطي الجزء الأكبر من مادة دراسية في التراث التربوي الإسلامي، ففيه الحد الأدنى مما هو في كل من الكتابين الآخرين. والكتابان الآخران كذلك يمكن أن يعد كل منهما قائماً بذاته لغرضه المحدد.

٧- وأخيراً فإنَّ الذي دعا إلى كل هذا الاهتمام بالتراث التربوي هو تقدير ضرورته وحاجتنا إليه، في تصورنا للفكر التربوي الإسلامي المعاصر الذي نريد أن نُبَلْوِرَه ونُطوِّرَه. ذلك أن مسح الكتب المتوفرة حول الفكر التربوي الإسلامي يشير إلى أنها تعطي النصيب الأكبر لمادة التراث، وتعطي شيئاً من الاهتمام بما ورد عن التعليم والتربية في القرآن والسنة، وقلما تتعامل مع هذه المصادر الثلاثة: القرآن والسنة والتراث، للغرض الذي تشتد الحاجة إليه، وهو بناء الفكر التربوي الإسلامي المعاصر. الذي نأمل أن يكون كتاباً مستقلاً نجتهد في إنجازه قريباً إن شاء الله. ونسأل الله التيسير.

والحمد للهّ ربّ العالمين.

مقدمات

هذه مجموعة من الفقرات التي جعلناها بمثابة مقدمة، ولكنها جاءت في صورة مقدمات لكل منها عنوانها، وكان يمكن أن تكون فقرات في داخل الفصول، لتقتصر المقدمة على ما جرت عليه العادة في موضوعاتها وحجمها. لكننا آثرنا هذا الأسلوب لنقدم للقارئ العزيز مجموعة من الأفكار التي تمهد للكتاب كله، ولا سيّما أن حجم الكتاب كبير نسبياً، والحديث قد ينسي بعضُه بعضاً كما يقولون.

تتحدث الفقرة الأولى عن سبب اهتمامنا بموضوع التراث التربوي، فأشارت إلى أن الكثير من التراث العربي هو تراث تعليمي.

والفقرة الثانية تختص بعلاقة النظام التربوي ومن ثم التراث التربوي في زمن معين بالنظام الاجتماعي والحالة الحضارية للمجتمع.

وجاءت الفقرة الثالثة لتحديد المعنى الذي اخترناه لمصطلح التراث في هذا الكتاب، وتسويغ هذا الاختيار بعد التذكير بالمعاني التي نجدها للتراث في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ولما كانت الكتابات التي تحدثت عن التراث التربوي كثيرةً جداً، فلا بد أن نعرف الجديد الذي يتوقع أن يقدمه هذا الكتاب، في موضوعه ومنهجه، ومن ثَـمَّ الهدف الذي يحاول أن يحققه التراث التربوي في مجال الإصلاح التربوي عن طريق بناء فكر تربوي إسلامي معاصر، وهو ما تولت الفقرة الرابعة الإشارة إليه.

وأشارت الفقرة الخامسة إلى موقع هذا الكتاب في سلسلة من ثلاثة كتب عن الترات التربوي الإسلامي، تكون كلها واحداً من المصادر التي سيعتمد عليها الفكر التربوي الإسلامي المعاصر الذي ننشد بناءه.

وأبرزت الفقرة السادسة بنية الكتاب والهدف من ترتيب فقراته على هذا الشكل.

وأخيراً نوَّهَ المؤلفُ بالجهود التي قدَّمها عدد من الزملاء، الذين كان لهم إسهامات مشكوره في أثناء مراحل تأليف الكتاب، وخطوات نشره.

١- موضوع التراث التربوي وأهميته:

العِلْمُ والتعليم والتربية منظومة مركزية، مسؤولةٌ عن تشكيل شخصيَّة الإنسان الفرد في كلِّ مجتمع، وفي الوقت نفسه هي منظومة مركزية في قدرة الأمم على امتلاك القوة بكلِّ أنواعها ومجالاتها: الاقتصادية، والعسكرية، والأخلاقية ... إلخ، وتتكامل عناصر هذه المنظومة لتؤديَ وظيفتَها في المؤسسات التي تتولَّى هذه الـمُهمَّة؛ بما في ذلك الأسرة، والمدرسة، والإعلام، والمؤسسات السياسية والاجتماعية الأخرى مثل: الأحزاب والنوادي والجمعيات، وجماعات الرفاق، وغيرها.

والأمَّة الإسلامية وهي تحاول بناء مشروعٍ نهضويٍّ شاملٍ، يُحقق لها موقع الشهود الحضاري في العالم المعاصر، سوف يبقى سعيُها في هذا المجال قاصراً ما لم تدرك أهميَّة التعليم في برامجه ومؤسساته ومادته، وما لم تدرك كذلك أهميَّة البحث العلمي، في مجال التربية والتعليم، إدارةً وتمويلاً وتوجيهاً.

ونحن نقدِّر أنَّ موضوع التراث التربوي الإسلامي هو أحد موضوعات التعليم والبحث العلمي التي تحتاج إلى العناية والاهتمام، لا ليكون هذا الموضوع غايةً في حدِّ ذاته، وإنَّما ليكون وسيلةً لبناء فكرٍ تربوي إسلاميٍّ معاصر، يأخذ من التراث ما يلزم أخذُه، لكنَّه يستلهم مقاصد الإسلام في نصوصه الأساسية في القرآن الكريم والسنة النبوية، ويستأنس بفهم علماء الأمة لتلك المقاصد، كما جاء هذا الفهم في مادة التراث، ثم يتعامل مع الخبرة الإنسانية المعاصرة، بتحليلٍ نقديٍّ؛ سعياً وراء ما قد يتوفر فيها من الحكمة، وتطلّعاً إلى بناء نماذج تتَّصفُ بالأصالة والإبداع، وتقود إلى تطوير الواقع واستشراف المستقبل.

نعني بالتراث التربوي الإسلامي تراث الأمة المسلمة، على امتداد هذا التراث في الزمان، وفي المكان. وعلى الرغم من أن العلماء الذين كتبوا التراث ينتسبون إلى أقوام وأعراق ولغات متعددة، جمعتهم أمة الإسلام، فإنّ معظم ما كُتب كان بالعربية؛ فقد كانت لغةَ العلم في المجتمع الإسلامي، لكنَّ ما كتبت مادَّتُه بلغات أخرى، لم يكن قليلاً كذلك.[1]

فالتراث التربوي الإسلامي ليس تراث القرن الأول فحسب، ولا حتى تراث القرون الثلاثة الأولى، ولكنه تراث ممتد على مدى يزيد عن ثلاثة عشر قرناً. ثم إنه ليس تراث تعليم القرآن والفقه وأحكام الشريعة وحسب، وإنما هو إضافة إلى ذلك سائر أنواع التعليم الأخرى التي مارستها المجتمعات الإسلامية من لغة وأدب وفلك وطب، فضلاً عن حِرف الزراعة والصناعة والبناء وفنون الحرب وغيرها.

لقد كُتبت كتب التراث في كثير من الأحيان ليكون محتواها موضوعاً للتعلُّم والتعليم، فمثلاً حين يكتب الدميري (توفي: ٨٠٨هـ) كتابه بعنوان "حياة الحيوان الكبرى" يقول بمنتهى الوضوح عن سبب تأليف الكتاب: "فهذا كتاب لم يسألْني أحدٌ تصنيفَه، ولا كلفت القريحة تأليفه، وإنَّما دعاني إلى ذلك أنَّه وقع في بعض الدروس، التي لا مخبأ فيها لعطر بعد عروس، ذِكْرُ مَالِك الحزين والذِّيخ المنحوس، فحصل في ذلك ما يشبه حرب البسوس، ومُزِج الصحيح بالسقيم..."[2] فثمّة دروسٌ؛ أي مواقف تدريسية، تعليمية، دعت المؤلف إلى تأليف الكتاب.

وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (توفي: ٦٢٦هـ) يرفض رغبةَ طلابِه الذين كان يدرِّسُهم موضوعاتِه أن يختصره لهم، بسبب قصور هِمَمِهِم عن حجم

---

(١) هذا قد يكون موضوع بحث علمي يتضمن رصد التراث التربوي الإسلامي الذي كتب بغير العربية، وتحليله وبيان خصائصه ومميزاته.

(٢) الدميري، كمال الدين محمد بن موسى. **حياة الحيوان الكبرى**، تحقيق: إبراهيم صالح، دمشق: دار البشائر، ط١، ٢٠٠٥م، ص٣٥.

obeikan.com

الكتاب الكبير، فيقول: "إنَّ كتابي هذا أوحدٌ في بابه، مؤَمَّرٌ على أضرابه،... ولقد التمس مني الطلاب اختصار هذا الكتاب مراراً، فأبيت، ولم أجد لي على قصر هممهم أولياء ولا أنصاراً، فما انقدتُ لهم ولا ارْعَوَيْتُ."[1] فالكتاب مادة تعليمية، اختلف فيه موقف المعلم عن موقف الطلاب.

ولكن ليس كل الكتب للتعليم، وإنما تكتب لغرض لا يقل نبلاً، فكتاب "سُلوك المالك في تدبير الممالك" لابن أبي الربيع (توفي: ٢٧٢هـ) ألَّفه صاحبه للخليفة المعتصم بالله العباسي، وكتاب الأحكام السلطانية كتبه الماوردي للخليفة العباسي القائم بأمر الله، لينتفع به في إدارة الحكم والملك. وكتاب معجم الأدباء كتبه ياقوت الحموي للملوك والوزراء والكبراء نُزْهَةً للنفوس وراحةً للأرواح. يقول ياقوت في مقدمة كتاب معجم الأدباء: "واعلم حباك الله بحسن رعايته، وأمدك بفضل هدايته، أنَّ هذا الفن من العلم ليس من بابه من يطلب العلم للمعاش، أو ليحصل الزينة والرياش... ولا هو مما يَنْفُقُ في المدارس، أو يناظر به في المجالس، إنما هو علم الملوك والوزراء، والجِلَّةِ من الناس والكبراء، يجعلونه ربيعاً لقلوبهم، ونزهة لنفوسهم، ترتاح إليه أرواحهم، وتشتمل عليه أفراحهم، فهو ربيع النفوس النفيسة، ورأس مال العلوم الرئيسة."[2]

ولعل من المناسب أن ننوه بملاحظة مهمة عند البحث عن كتب التراث الإسلامي. ذلك أن كتب التراث في الموضوعات المختلفة كتبها المؤلفون من أجل أن تقرأ، وتكون مادة للتعليم في مرحلة من مراحل عمر المتعلمين. وبهذا المعنى، يمكن القول إن التراث العربي الإسلامي المكتوب هو تراث تربوي تعليمي. لكن هذا المعنى

(١) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. **معجم البلدان**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٢.

(٢) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج١، ١٩٩٣م، ص١٥.

العام للتعليم ليس هو غايتنا في الحديث عن التراث التربوي الإسلامي، وإنما الذي نعنيه ذلك التراث الذي يتضمن موضوعات عن التربية والتعليم بالمعنى الخاص؛ أي الكتب التي تحتوي مادة عن واحد أو أكثر من الموضوعات الآتية: العلم، والمعلم، والمتعلم، وطرق التعليم، ومناهج التعليم، ومؤسسات التعليم، وتمويل التعليم، وإجازات التعليم، وغير ذلك مما له صلة بالتعلّم والتعليم، سواءً أكان منهجُ عرض هذه المادة منهجاً فقهياً، أو فلسفياً، أو تاريخياً، أو أدبياً، أو صوفياً، أو غير ذلك.

وسوف نجد من هذه الكتب ما يحمل عنواناً صريحاً في الدلالة على موضوعه، مثل: كتاب "آداب المعلمين" لابن سحنون، وكتاب "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين" للقابسي، وكتاب "تعليم المتعلم طريق التعلّم" للزرنوجي، وأمثالها. لكنَّ ثَـمَّة كتباً أخرى في التراث الإسلامي تحمل عناوين عن التعليم لكن موضوعاتها لا تتصل بالمعنى الخاص للتعليم والتربية الذي أشرنا إليه سابقاً. ومن ذلك مثلاً كتاب: "المنهج القويم بشرح مسائل التعليم" لابن حجر الهيتمي فهو كتاب في الفقه الشافعي، يتكون من متن الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بافضل الحضرمي المعروف "بلحاج الحضرمي" (توفي: ٩١٨هـ)، وشرح ابن حجر الهيتمي (توفي: ٩٧٤هـ). وفي الكتاب مقدمة قصيرة لا تتجاوز صفحة واحدة ثم يأتي بأبواب الفقه بدءاً من باب الطهارة، ثم الصلاة، والجنائز، والزكاة، والصيام، والاعتكاف، والحج والعمرة، والبيع، والإقرار، والوقف، والفرائض، والموازين. ولذلك ليس في الكتاب شيء من موضوعات التربية والتعليم بالمعنى الخاص. ومثله كذلك "كتاب تعليم الصبيان" لعبد الرحمن السالمي، وهو كذلك كتاب في الفقه الإباضي ليس غير. وما قد يشفع لمؤلفي مثل هذه الكتب هو أن ما كتبوه فيها من أحكام الفقه هو تحديد للموضوعات التي يريدون تعليمها.

وفي المقابل سنجد موضوعات فيها قدر كبير من التفصيل عن مسائل التعليم بالمعنى الخاص، ولكن عناوين مثل هذه الكتب لا توحي بذلك. فقد وجدنا مثلاً

أن كتاب "المقدمة" لابن خلدون (توفي: ٨٠٨هـ) يتضمن مادة غنية بلغ حجمُها ثلث حجم مادة الكتاب، وتضمنت حديثاً تفصيلياً عن مكانة المعلم، وصفات المعلمين، وتصنيف العلوم، وطرائق التعليم. كما وجدنا أن كتاب "الإعلام بمناقب الإسلام" لأبي الحسن العامري (توفي: ٣٨١هـ) تضمن فصولاً نفيسة، احتلت كذلك ما يزيد على ثلث مادة الكتاب، وعرض فيه المؤلف للغرض من العلم، وتصنيف العلوم ومراتبها وأهمية كل منها، وضرورة التخصص في العلم، وصفات المعلمين، والأثر التربوي للعبادات الإسلامية. وكتاب "مفتاح السعادة ومصباح السيادة" لطاش كبرى زاده (توفي: ٩٦٨هـ) هو في الأساس محاولة جديدة في مجال تصنيف العلوم، وبيان التنوع المعرفي للتراث الإسلامي. وقد تحدث فيه عن العلوم وأقسامها وفروعها، فذكر كيف تفرعت العلوم، وعلاقة كل علم بغيره من العلوم، وقسَّم كتابه إلى شُعب وفروع. وقد بلغ عدد العلوم في إحصائه نحو ٣٠٠ من العلوم المختلفة وقسَّمها إلى ستة أبواب. وعندما يَذكرُ العلمَ فإنّه يعرّفه ويبيّن حدوده، ويبحث في تاريخه بحثًا نقديّاً، ثم يشير إلى أشهر المؤلفات الموجودة فيه.

٢- أثر النظام التربوي على واقع المجتمع:

ولا شك في أنَّ جهود التربية والتعليم في المجتمع الإسلامي كان لها الأثر الكبير في ظهور أجيال من أبناء الأمة حققت لها مكانة القيادة والريادة في ساحة العالم، وظهرت نتيجة لتلك الجهود قيادات علمية شامخة في كثير من مجالات المعرفة، فنشأت علوم لم تُعرف من قبل، وتقدَّمت علومٌ كانت في غاية السهولة، وأُنشِئت مؤسسات اجتماعية وسياسية وعمرانية، وأسهم كل ذلك في بناء الحضارة الإسلامية، التي مثَّلت في بعض القرون الحضارةَ العالمية السائدة.

وإذا كان المجتمع الإسلامي قد مرَّ في مراحل من تاريخه كان فيها لجهود التربية والتعليم كلُّ ذلك الأثر الإيجابي، فلا شك كذلك أنَّ هذا المجتمع قد مرَّ في مراحل أخرى من تاريخه فشلت فيها جهود التربية والتعليم في المحافظة على قوة

المجتمع الإسلامي وقدرته على التعامل مع التحديات التي واجهته من الداخل أو من الخارج، وقصّرت تلك الجهود عن الاحتفاظ بطاقته وقدرته على الإبداع والتقدم الحضاري.

وحتى يكون حكمنا على أداء النظام التربوي والتعليمي في مرحلة من المراحل، ومن ثم على التراث التربوي الذي عبَّر عن ذلك النظام، حُكماً منصفاً، لا بد أن نأخذ بالحسبان أن النظام التربوي هو جزء من النظام الاجتماعي العام، وفي بعض الحالات يكون متأثراً لا مؤثراً، وتابعاً لا قائداً، وهي حالات تعد من مظاهر التخلف.

وثمة حالات مختلفة لموقع النظام التربوي ودرجة تأثيره على المجتمع، من هذه الحالات حالة يهيمن فيها النظام التربوي على المجتمع، ويصبح إطاراً لإعداد الشخصية الإنسانية المميزة لذلك المجتمع، وبيئة لتطوير الفكر والثقافة وأنماط الحياة لفئات المجتمع كلها، وحينها نستطيع أن نتبين بصورة أكثر عدلاً أثر هذا النظام في مستوى قوة المجتمع ومكانته. لكن من هذه الحالات حالة يقتصر فيها النظام التربوي على نُخَب محددة تُؤْثر العزلة عن بعضها، وتكتفي بتأثيرها على قليل من الأتباع، وتحجم على التفاعل مع المجتمع، والانتماء إليه، والتعامل مع قضاياه، وربما تتعارض وتتضارب مصالح هذه النخب فيما بينها. ومن المتوقع أن تختلف آثار هذا النظام التربوي (أو النظم التربوية المتضاربة) في الحالة الثانية في أثرها على قوة المجتمع وتقدمه عن آثار هذا النظام الذي ساد الحالة الأولى.

٣- التراث في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف:

ونظراً إلى أنَّ أدبيات التراث المعاصرة تختلف فيما بينها في تحديد الدلالة التي تعطيها هذه الأدبيات للتراث، فقد كان لا بد لنا أن نحدِّد المعنى الذي نختاره ونسوِّغ هذا الاختيار، ولا سيما أنَّ للتراث الإسلامي ميزة لا نجدها في تراث الأمم الأخرى، وهو أن التراث في معظمه كان يستمد من مصدر ربّاني ويدور حول هذا المصدر؛ وهو القرآن الكريم. فقد جاء لفظ التراث واشْتِقاقاتُه في القرآن الكريم في

آيات كثيرة، فلفظ التراث جاء مرة واحدة ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ [الفجر: ١٩] والتراث هنا هو ما يُـخَلِّفُه الإنسان بعد موته لوارثه. وجاءت آيات كثيرة بمعنى المال والممتلكات الموروثة، بصيغة الفعل والاسم. منها قوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ... وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقوله: ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ [النساء: ١١] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾ [النساء: ١٩]، وقوله: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞ﴾ [النساء: ١٧٦].

وجاء اللفظ بمعنى ميراث النبوة في قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ [مريم: ٨]، وبمعنى ميراث النبوة والملك في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]. وبمعنى وراثة الكتاب والوحي للأنبياء والرسل الذي اصطفاهم الله لهذا الغرض في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، وقد يرث كتابَ الوحيِ جيلٌ لا خير فيه، يأتي بعد جيل سابق كان فيه الصالح والطالح، وذلك قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وجاء اللفظ بمعنى وراثة أمة أرض الدنيا من أمة قبلها: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ﴾ [الأعراف: ١٠٠] وقوله سبحانه: ﴿وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧] وبمعنى وراثة الجنة في اليوم الآخر في قوله سبحانه: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ٦٣]، وفي قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون: ١٠ - ١١].

وجاء اللفظ بمعنى زوال كل مالك لما يملك حين تموت الخلائق جميعها، ويبقى الله سبحانه المالك لكل المملوكات ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣]. وقريب من هذا المعنى آيات ورد فيها قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٨٠] وذلك "بأن المال مال الله، وما من بخيل إلا سيذهب ويترك ماله، والمتصرف في ذلك كله هو الله، فهو يرث السموات

والأرض؛ أي يستمر ملكه عليهما بعد زوال البشر كلهم المنتفعين ببعض ذلك."[١]

والأحاديث النبوية التي ورد فيها لفظ التراث والميراث والإرث والتوريث كثيرة جداً، وهي في مجملها تتحدث عن وراثة المال والممتلكات إلى ورثة الميت. ومع ذلك فقد ورد حديث يشير إلى أن أمة محمد ﷺ هي على إرثٍ من إرث إبراهيم عليه الصلاة والسلام. والحديث: عن يزيد بن شيبان، قال: أتانا ابن مِرْبَعٍ الأنصاري، ونحن وُقُوفٌ بِعَرَفَةَ، في مكان يُباعِدُه على الإمام، فقال: أمَا إنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْكُمْ، يَقُولُ لَكُمْ: "قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ."[٢] وورد حديث آخر في أدعية النبي ﷺ، وذلك قوله: "اللهم متّعْنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبداً ما أحْيَيْتَنا، واجْعله الوارثَ منَّا..."[٣] فالوارث هو الذي يبقى بعد الموروث، فإن فُقِد السمع والبصر وسائر القوى من الإنسان في أثناء حياته، فالإنسان هو الوارث لها، أما إن مات وهو يتمتع بها فهي الوارث له، وهذا هو مطلوب الدعاء؛ أي يبقى الإنسان يتمتع بالسمع والبصر وسائر القوى طوال حياته.

وعلى أساس ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية والمعنى اللغوي الذي وجدناه فيهما للتراث، فإنَّ بإمكاننا أن نَعُدَّ القرآن الكريم والسنة النبوية من التراث الذي ورَّثه الله سبحانه للأمة، وأصبحا ضمانةً لتواصلِ الهداية الربانية والنبوية لأجيال الأمة جيلاً بعد جيل، وقد أُمِر المسلمون بطاعة الله وطاعة رسوله، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ١]. وطاعة الله تكون في اتباع ما أنزل في كتابه من

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م، ج٤، ص١٨٣.

(٢) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. **جامع الترمذي**، بيروت: بيت الأفكار الدولية، ط١، ١٩٩٩م، ص١٦٢، حديث رقم (٨٨٣). وقال عقبه: حديث حسن صحيح.

(٣) المرجع السابق، ص٥٥١، حديث رقم (٣٥٠٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما. وقال: حديث حسن غريب.

obeikan.com

أحكام، وطاعة رسوله فيما بيّن وهدىٰ وأرشد لتنفيذ تلك الأحكام. فالتعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية هو الفهم والتدبر والطاعة والاتباع.

لكن الأمة ورثت كذلك تراثاً من العلوم التي دارت حول القرآن والكريم والسنة النبوية، اجتهد فيها العلماء الذي دوّنوا هذه العلوم، فاختلفت اجتهادات أبناء الجيل الواحد من العلماء، للتفاوت فيما وصل كلاً منهم من العلم، ولاختلاف فهمهم ودرجة تدبرهم، ولاختلاف الظروف التي كانت تسود بلدانهم. واختلفت اجتهادات العلماء من جيل إلىٰ الجيل اللاحق لاختلاف الزمن ومتطلباته، ووقوع المستجدات والنوازل. وبطبيعة الحال فإنَّ هذا النوع من التراث مختلف عن القرآن الكريم والسنة النبوية، وطريقة التعامل معه مختلفة كذلك عن التعامل مع القرآن والسنة، فما وصلنا من التراث الذي أنتجه العلماء ليس ملزماً لنا كإلزام القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولذلك رأىٰ كثير من الباحثين أن يميزوا القرآن الكريم والسنة النبوية عن التراث، ويقصروا مفهوم التراث علىٰ إنتاج العلماء ليكون من السهل إخضاع هذا التراث للتحليل والنقد، أما القرآن الكريم والسنة النبوية؛ فهما المرجعية التي تكون مسؤوليتنا تجاههما هي الفهم والتدبر والاتباع. ومع ذلك يفضل باحثون آخرون الحديث عن التراث بوصفه كل ما ورثناه عن السابقين من النصوص الدينية، في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن الاجتهادات والخبرات البشرية.

إن الرأيين متقاربان كثيراً؛ لأنَّهما يعبران في نهاية المطاف عن غاية واحدة، فالذين يرون القرآن والحديث من التراث، لاشتراك المعنىٰ اللغوي وبالاعتماد علىٰ المعنىٰ الوارد في القرآن الكريم لا يرون بأساً بتعميم مفهوم التراث علىٰ القرآن والسنة، لكنهم يميزون بين منهج التعامل مع القرآن والسنة من جهة، ومنهج التعامل مع إنتاج العلماء من جهة أخرىٰ. أما الذين يرون فصل القرآن والحديث من معنىٰ التراث؛ فالمسألة عندهم هي مسألة مصطلح، يتجنبون بواسطته خضوع

obeikan.com

القرآن والسنة لما يخضع له التراث البشري من نقد ومراجعة.

ونحن نختار أن نتحدث عن التراث الإسلامي بوصفه اجتهادات العلماء المسلمين التي كتبوها في حقول العلوم المختلفة، فوَرِثْناه عنهم، وهذا التراث الذي بين أيدينا هو موضوعات للدراسة والبحث والتقويم، فالقرآن والسنة ليسا من التراث، وإنما هما المرجعية والمعيار الذي نحكم بهما على التراث، فنأخذ منه وندع، وفق ذلك الحكم، وهما كذلك المرجعية والمعيار فيما نأخذ وندع من الخبرات البشرية المعاصرة. وبذلك يكون الفكر التربوي الإسلامي الذي نسعى إلى تطويره في حياتنا المعاصرة، أوسع نطاقاً وأكثر شمولاً من التراث التربوي الإسلامي، ويكون التراث مصدراً من مصادر الفكر، لا نبخسه ما يستحقه، ولا نجعله يُصادر مواقع المصادر الأخرى.

٤ - هدف الكتاب ومنهجه:

عند النظر في كثير من المؤلفات الحديثة ولا سيما الأطروحات الجامعية، وبحوث الترقيات العلمية نجد أن من المسوغات التي يقدمها المؤلف/ الباحث لاختيار موضوع بحثه، هو قلة الكتابات والبحوث في الموضوع أو عدم كفايتها. أما نحن فلا ندّعي ذلك، بل نقول: إن كثيراً من موضوعات التراث قد تناولته كتب تراثية ذات قيمة كبيرة، فمؤسسات التعليم على سبيل المثال نجدها في كتب تاريخية متعددة، فمدارس الشام بأنواعها ورجالها وأوقافها جاءت مفصّلة في كتاب "الدارس في تاريخ المدارس" للنعيمي، وكتاب "تنبيه الطالب وإرشاد الدارس" لعبد الباسط العلموي، ومؤسسات التعليم في مصر جاء عنها الكثير من البيان المفصل فيما كتبه المقريزي في "الخطط المقريزية"، وجلال الدين السيوطي في كتابه "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة". وقد أسهمت بعض المؤسسات المعاصرة في تغطية الكثير من موضوعات التراث أعلاماً وأفكاراً ومؤسساتٍ، وأنتج بعض الباحثين المعاصرين أعمالاً مهمة حول تاريخ التعليم الإسلامي

ومناهجه ومؤسساته، كما سيرد تفصيل ذلك في هذا الكتاب.

وربما كانت هذه الكثرة والتنوّع في دراسات التراث التربوي أحد حوافز إعداد هذا الكتاب. فالمهتم بالموضوع يتعذر عليه الاطلاع على هذا الحجم الكبير من الكتابات. وكثير مما نشر منه لم يطبع إلا طبعة واحدة، نفدت ولم تعد نسخها موجودة في سوق الكتب، فعَرْضُ أهم ما في الكتابات في مرجع واحد يفيد في التذكير بها والتنويه بأهم محتوياتها. ثم إنَّ كثيراً من هذه الكتابات اكتفت بالتنويه بهذا التراث وإبراز حسناته، والثناء على أعلامه، وافتقدت من ثَـمَّ الرؤية التحليلية النقدية لما في التراث.

وقد لفت انتباهَنا في عدد من الحالات أنَّ الكتابات المعاصرة، ولا سيما الأطروحات الجامعية وبعض الكتب المنهجية تعتمد في مراجعها على كتابات حديثة معاصرة، ولا ترجع إلى مصادر التراث إلا نادراً. وهي ظاهرة يستطيع القارئ أن يتحقق منها لو أخذ بحثاً من بحوث الماجستير أو الدكتوراه التي تتناول قضايا التراث التربوي، ونظر في قائمة المراجع، فسيجد أن مصادر التراث التي اعتمد عليها الباحث أقل بكثير من المصادر الثانوية الحديثة، وأن المؤلف في كثير من الأحيان يرجع إلى مراجع وسيطة يأخذ بعضها من بعضها الآخر. وقد أجرينا عدداً من التمارين لهذا الغرض، فأحد البحوث الذي يتحدث عن قضية تراثية من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري، ينتهي بستة عشر مرجعاً، ليس من بينها إلا أربعة من مصادر التراث، فإذا رجعنا إلى المصدر الأصلي لم نجد المادة المحالة إليه، أو وجدناها بنص مختلف، ومع تتبعنا لعدد من هذه الحالات وجدنا المؤلف المعاصر يريد أن يقدم فكرة معينة يتبنّاها، ويعزز موقفه بالإحالة إلى مصدر من التراث. ومن الأمثلة على ذلك ما وجدناه عند من كانوا يريدون أن يثبتوا من مصادر تراثية أن الدولة في الإسلام كانت هي المسؤولة عن تمويل التعليم، وأن التعليم كان إلزامياً.

obeikan.com

أما كتابنا هذا؛ فلم يكن من أغراضه التعامل مع التراث الإسلامي بطريقة خطابية أو وعظية لرفع الروح المعنوية عن طريق الاعتزاز بالتراث، ولم يكن من غرضه كذلك الإعلاء من شأن التراث ورفع منزلته بوصفه تطبيقاً لتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية، فبعض الممارسات التعليمية التي نجدها في التراث لم تكن امتثالاً عملياً لتلك التوجيهات، وإنما كان الغرضُ من الكتاب بناءَ رؤية تكاملية للتراث التربوي الإسلامي، عن طريق عرض خريطة كاملة -نوعاً ما- لهذا التراث، تتكامل فيها عناصر التراث في توجُّهاته الفكرية والمذهبية، وتنوُّع ممارساته من قوة وضعف. وبهذه الخريطة سيكون من اليسير إلقاء نظرة شاملة على مجمل التراث، من حيث حالةُ البحث فيه، ولمحاتٌ من تطوُّرِه، وتنوُّعُ مدارسه، ونماذج من نصوصه بما يوفر فرصة للاقتراب من لغته وأساليب عرضه، وبعض الرؤى التحليلية لموضوعاته، ومقترحات لمنهجية التعامل معه.

وهذا الكتاب هو الأول في سلسلة من الكتب التي نخصصها لدراسة التراث وإعطائه موقعه المناسب في الجهود الرامية إلى بناء الفكر التربوي الإسلامي المعاصر. ونحن في هذه السلسلة عن التراث التربوي الإسلامي نسعى إلى تحقيق أهداف محددة، لو رأيناها قد تحققت في كتابٍ أو كتب أخرى، لما تكلفنا هذا العناء. فكُتب التراث التربوي الإسلامي كثيرة، والمادة المكتوبة عن التراث الإسلامي كثيرة كذلك، كما سيتبين للقارئ لاحقاً. وهذه الكثرة قد لا تتيح لكثير من المهتمين بالتراث الاطلاع عليه. وما في هذه الكتابات من فوائد موزَّعٌ عليها جميعاً. ومع ذلك فيجدر بنا أن نشير إلى أنّ كثيراً من هذه الكتابات جاءت في مجال الإعلاء من شأن هذا التراث دون توضيحٍ يُفيد في كيفيةِ تَوْظيفه والإفادةِ المعاصرة منه، وكثير منها جعل ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية عن التعليم والتربية ضمن التراث، وكثير من الكتب التي صُنفت تحت عنوان الفكر التربوي الإسلامي كانت عن التراث التربوي الإسلامي.

وكما كانت الرؤية التكاملية للتراث هدفاً من أهداف هذا الكتاب، فإنها كانت كذلك منهجاً في تناول موضوعات الكتاب وفصوله، فقد لجأنا إلىٰ التكامل بين العرض والتحليل والنقد، والجمع بين عوالم الأشخاص والأفكار والأشياء والمؤسسات، وملاحظة السياقات الزمانية والمكانية للوقائع والأحداث. واعتمدنا المصادر الأولية للتراث وأَكْثَرْنا من الاستشهاد بنصوص من هذه المصادر بلغتها الأصلية.

٥- طرائق الاستفادة من هذا الكتاب:

وعلىٰ هذا الأساس ننوِّه بأن هذا الكتاب في "التراث التربوي الإسلامي" قد صُمّم ليكون مرافقاً لكتاب آخر في "الفكر التربوي الإسلامي". ونأمل أن يُدْرَسَ الكتابان معاً. فكتاب الفكر التربوي الإسلامي سيتحدث عن المصادر الأربعة لهذا الفكر، وهي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتراث التربوي الإسلامي، والخبرة الإنسانية المعاصرة. بينما يتحدث كتاب التراث التربوي الإسلامي عن هذا التراث بقدرٍ من التوسع من جهة، وبلمساتٍ من المراجعة والتقويم من جهةٍ أخرىٰ.

لكن هذا الكتاب "**التُّراثُ التَّرْبَوِيُّ الإِسْلَامِيّ: حالةُ البحث فيه، ولمحاتٌ من تطوُّره، وقطوفٌ من نُصوصِه ومَدَارِسِه**" لن يتسع لجوانب أخرىٰ نرىٰ أنّ لها أهمية كبرىٰ في دراسة التراث التربوي الإسلامي. فنحن في هذا الكتاب سنتحدث عن التراث، وسنعرض أمثلة علىٰ الطرق التي تحدث فيها كثير من الباحثين عن التراث، ولكننا سوف نشعر بالحاجة إلىٰ القرب من التراث نفسه، والاطلاع المباشر علىٰ نماذج منه. وللاستجابة لهذه الحاجة فقد خصصنا الكتاب الثاني من سلسلة كتب التراث لتقديم مختارات من نصوص التراث، حرصنا علىٰ تضمينه نماذج متنوعة من التراث التربوي الفقهي في مدارسه الثمان، إضافة إلىٰ نماذج أخرىٰ من التراث التربوي من مدارس غير فقهية، وتحديداً المدارس الحديثيَّة، والفلسفية، والصوفية، والأدبية، والتاريخية، والطبية. ولما كان من المتعذّر إيراد النصوص الكاملة في جميع هذه المدارس، فقد اكتفينا من كل نص بما يعبر عن مضمونه ومنهجه ولغته، إضافة إلىٰ

تعريف موجز عن مجمل الكتاب، وموجز عن مؤلفه. وبذلك يكون الكتاب الثاني: "**نصوص مختارة من التراث التربوي الإسلامي**" مرجعاً للباحثين لإلقاء نظرة أكثر تكاملاً على هذا التراث، وربما يكون الجزء الذي تم اختياره من النص الكامل لكتاب معين من كتب التراث حافزاً لبعض الباحثين للعودة إلى الكتاب الأصلي كاملاً.

لقد كان همُّنا في هذا المشروع عن التراث التربوي الإسلامي والفكر التربوي الإسلامي هو إصلاح واقع التربية والتعليم في مجتمعات الأمة الإسلامية، وتمكين جهود الإصلاح في ميدان التربية والتعليم من الإسهام المباشر في إصلاح واقع الأمة في سائر المجالات الأخرى. ونحسب أن المهتمين في جهود الإصلاح هذه يحتاجون إلى أساس معرفي فيما يقولون وما يفعلون، والبحث العلمي المتخصص هو الذي يوفر هذا الأساس المعرفي. لذلك عمدنا إلى تقديم عدد من النماذج لمشروعات بحثية في قضايا التراث التربوي الإسلامي، وأفردنا لها كتاباً ثالثاً في هذه السلسلة عِنْوانُه "**مشروعات بحثية في التراث التربوي الإسلامي**"، وكان منهجنا في الكتاب أن لا ننجز المشروع كاملاً، وإنما نكتفي بفتح الباب أمام الباحثين للتوسع في كل مشروع، والتخطيط لمشروعات أخرى.

وسوف يلاحظ القارئ أننا حاولنا أن نعرض نتائج البحث في التراث، في الكتاب الأول؛ واختيار نصوص من هذا التراث، في الكتاب الثاني؛ واقتراح مشروعات محددة من التراث في الكتاب الثالث وفق منهج تحليلي نقدي، يعتمد التكامل في الرؤية، والأمانة في العرض، والتوازن في التحليل والنقد، بهدف التقدير الموضوعي لقيمة التراث في سياقاته الزمنية، والتقدير الموضوعي لموقع هذا التراث في تخطيطنا لبناء فكر تربوي إسلامي معاصر.

ومن مسوغات الاهتمام بالتراث الإسلامي بصورة عامة، والتراث التربوي الإسلامي بصورة خاصة تحقيق بعض متطلبات الاحتفاظ بالهوية المميزة للأمة، في وقت تبذل فيه جهود حثيثة في العالم المعاصر تسعى إلى صبغ العالم بصبغة ثقافية

obeikan.com

واحدة طوعاً تحت عنوان التكيف مع مؤثرات العولمة واتجاهاتها، أو كُرهاً تحت ضغوط مؤسسات الاعتماد ونظم الجودة والتمويل والاستثمار. وإذا أخذت اتجاهات العولمه وضغوطها مداها، فمن المتوقع أن تفتقد الأمة خصوصياتها، وعناصر هويتها. ومن هنا يصبح على النخب العلمية والثقافية في الأمة بذل الجهود اللازمة للجمع والتكامل بين عناصر ثلاثة: أولها، استلهام القيم الحاكمة التي أرشد إليها الوحي الإلهي والهدْيُ النبوي لتحقيق المقاصد التي جاء الدين من أجلها؛ وثانيها، اعتماد هذه القيم أساساً في تقويم التراث الماضي للأمة وبيان القيمة التي يحملها لحاضرها؛ وثالثها، التمكن من منجزات العصر بمصادرها المختلفة، وبيان القيمة التي تحملها هذه المنجزات.

إن هذا الجمع التكاملي بين هذه العناصر الثلاثة هو الأساس في إطلاق قوى الإبداع في حل مشكلات الحاضر وريادة آفاق المستقبل، وبه كذلك تستطيع النخب الثقافية المعاصرة للأمة أن ترسم طريقها في إصلاح واقعها والإسهام في العمران البشري وترشيد الحضارة.

٦- تنظيم الكتاب:

في هذا الكتاب سبعة فصول، رصدنا في الفصل الأول تطور حركة الاهتمام بالتراث الإسلامي بصورة عامة، وموقع التراث التربوي في التراث الإسلامي. ثم توسعنا في الفصل الثاني في بيان حالة البحث في التراث التربوي الإسلامي، وذلك بالتنويه بالبحوث والمشروعات البحثية الكثيرة التي تخصصت في الموضوع، وتولاها باحثون، وفرق بحثية، بجهود مؤسسات علمية أحياناً، وبجهود فردية في معظم الأحيان. وحتى ننتقل من الحديث عن التراث إلى الانغماس في التراث نفسه، جعلنا الفصل الثالث نصوصاً من التراث التربوي الإسلامي. وهي مختارات موجزة من نصوص مختارة، تعطي فكرة عن موضوعات التراث ولغته ومنهجيَّته.

obeikan.com

وكان من الواضح أن نصوص التراث التي اخترنا بعض صفحاتها تنتمي إلى مدارس منهجية مختلفة، واتجاهات فكرية متنوعة، ما بين مدارس الفقه، والحديث، والتصوف، والأدب، وعلم الكلام، والفلسفة، والتاريخ، والطب، فجعلنا الفصل الرابع حديثاً عن هذه المدارس والاتجاهات، وما يميز كلاً منها عن غيره في المادة والشخصيات والمؤسسات وغيرها. وقد اخترنا الحديث عن التراث الذي كتب على مدى لا يقل عن عشرة قرون، مَرَّ فيها التعليم في سلسلة من المراحل، فكان الفصل الخامس هو إلقاء نظرات خاطفة على بعض ملامح التطور في مؤسسات التعليم وممارساته في المجتمع الإسلامي.

وقدّم الفصل السادس نماذج من الرؤى التحليلية لمادة التراث التربوي الإسلامي، تناولت موضوع التراث، ومدارسه، والمشترك والمختلف فيما كتبه علماء التراث، وتجليات مفهوم الأمة في التراث التربوي الإسلامي، والمرجعية المناسبة في تقويمه، والمسؤولية عن التعليم، واخترنا قضية جدل العقل والنقل نموذجاً للطريقة التي عرض فيه التراث واحدة من قضاياه المهمة.

وختمنا الكتاب بالفصل السابع الذي خصصناه للحديث عن منهجية التعامل مع التراث التربوي الإسلامي.

٧- شكر وتقدير:

ومن الإنصاف في هذا المقام أن أنوه بجهود عدد من الزملاء الذي أسهموا في تيسير العمل في بعض مراحل كتابة المادة ومراجعتها، ولا سيما في مجالات توفير المراجع المطلوبة، وتوثيق النصوص، وتحرير المادة، والتنظيم الفني والتصميم، فأتقدم هنا بوافر الشكر وعظيم التقدير لكل من الدكتور عبد الله عطا عمر، والأستاذ إيصال حوامدة، والدكتور عبد الرحمن أبو صعيليك، أسأل الله أن يجزيهم خيراً.

والحمد لله رب العالمين.